

حكمة الجدة



د. محمود أبو العزائم
رئيس التحرير

بقلم

لهما حسن الخلق مما يؤدي إلى الشجار المستمر معهم ثم تحدثت إحدى الحفيدات قائلة إنها تتمنى أن تستطيع أداء الفرائض الدينية في أول الوقت وأن تداوم على التحكم في انفعالاتها لأنها سريعة الانفعال والغضب.

وعقب الجد على هذه الملاحظات بأن الجميع يتعلم من الحياة كيف يصلح من ذاته وأن الإنسان الكئيب من دان نفسه قبل أن يدان ولذلك فإن من يستطيع أن يصلح من ذاته ويدرك أخطائه ويعلم أنها أخطائه ولا يعاند ولا يكابر هو الإنسان الذي لديه الثقة بالنفس ولديه القدرة على الإصلاح وله الفرصة في التقدم وبلوغ الدرجات العلى، أما من يكابر ويعاند فإنه يظل دائماً في مرحلة من الفشل وعدم الترقى في الحياة.

من تلك الجلسات والحوارات الأسرية وتشجيع الأبناء وامتداحهم أمام المجتمع وإظهار الصفات الحميدة فيهم تقوى شخصياتهم ويستبصر الأبناء بعيوبهم ويستطيع الآباء والأبناء أن يتقاربوا ويتفاعلوا مع بعضهم البعض بعيداً عن التأنيب والتوبيخ والشدة والجذب. وكذلك فإن قوة العلاقات الأسرية بين الطفل ووالديه أو حتى أقاربه، خصوصاً علاقته مع «الجد أو الجدة» اللذين لديهما الكثير من الحكمة والعتاء وحسن الرؤية وسعة الأفق والقدرة على تحمل الهفوات والتوجيه بالحكمة والهدوء دون كلل أو ملل دور هام في توجيه النشء.

كذلك يمكن أن يكون للجد أو الجدة دور مهم في مرحلة المراهقة حين يبحث المراهق عن حضان محاييد يأوي إليه فيجد الإصغاء والتخفيف - وهو ما يحتاج إليه كثيراً- ويجد التوجيه الأبوي عندما يكون منغلقة نفسياً عن سماعه من الأبوبين.

ليتنا نحاول أن نفهم كل منا الآخر ولا نقسو على الأبناء ولا يسارع الآباء بإلقاء التهم على الأبناء بأنهم جيل فاسد منحرف ولا ينظرون إلى أن الله خلق الإنسان إنساناً يخطئ ويصيب ويتعلم مع مرور الوقت ومع نضوج الشخصية ولم يخلقه ملاكاً والإنسان في الحياة يرتكب الكثير من الأخطاء ولكن مع الالتزام بالدين ومع التوجيه الحكيم من الأهل يصل إلى بر الأمان بإذن الله.

الأصدقاء هم القدوة للأبناء والكل يقلد البعض ويتنافس مع البعض في المظهر والملبس والألفاظ المنفلتة والخادشة للحياء وأصبح شعور الأبناء الرغبة في الاستقلال عن الأهل والتمتع بكامل حرياتهم وعدم تدخل الأهل ولو من بعيد في شؤونهم الخاصة بالرغم من اعتمادهم الكامل على الآباء وأصبح سمة شباب العصر هو التمرد على كل القيم والقدوات في الحياة مما أدى إلى المشاجرات والتوتر في الأسر بين الآباء والأبناء ووجود الجفاء في المعاملات الأسرية.

ولذلك سعت الجدة إلى عمل خطة أعدت لها بعناية لكي تؤلف بين قلوب الآباء والأبناء من خلال إحدى الجلسات العائلية التي حرصت على التنبيه على الجميع بوجوب الحضور فيها وأنها أعدت الهدايا للتوزيع، ومن لن يحضر سوف يخسر نصيبه في الهدايا وطلبت من كل أم أن ترسل لها بعض المعلومات والصفات الإيجابية في شخصية كل ابن من أبنائها حتى لو لم تكن صفة مستمرة وظاهرة في شخصيته.

وفي بداية الجلسة تحدثت الجدة عن أن لكل إنسان مميزات وعيوباً وهكذا خلق الله الخلق جميعاً وأن الإنسان الناجح هو الذي يستطيع تنمية مميزاتة باستمرار والمحاولة للتغلب على الصفات السيئة في شخصيته لأن ذلك هو مفتاح النجاح.

وعندما تحدثت عن الحفيد الأوسط قالت إن والدته تقول إنه متسامح دائماً ويسارع في عمل الواجبات ويساعد إخوته، أما الحفيدة الكبرى فإن والدتها تقول عنها إنها تعتذر عندما تخطئ وتسارع في المساعدة في أعمال المنزل وتساعد إخوتها في عمل وجبه العشاء إذا تأخرت والدتها في العمل، أما الحفيد الأصغر فإنه يسارع في تنظيم مكتبه والكتب الدراسية ولا يتأخر عن عمل الواجبات المدرسية.

ثم تدخل العم وعرض مكافأة للأحفاد لمن يتحدث أمام الجميع ويظهر الأشياء والصفات التي تحتاج للإصلاح في شخصيته. وبعد فترة من الارتباك والخجل من الحديث وبعد الاستماع إلى قيمة المكافأة تجرأ الابن الكبير وقال إنه يتمنى من الله أن يستطيع أن يبرر والديه وأن يحسن إليهما فإنه يعلم أنه كثيراً ما يكون على درجة من الجفاء ولا يبدي

وهناك من رجال التربية من يدعو إلى ترك الأبناء يتعلمون كل شيء من خلال طريقة التعلم المعروفة باسم المحاولة والخطأ، ومعنى هذا أن يرفع الآباء أيديهم عن الأبناء في سن مناسبة لممارسة الأبناء بأنفسهم كل ما يتعلق بحياتهم سواء كانت شخصية أو غير ذلك، لكن الاستقلال الذي توفره هذه التربية مبالغ فيه وخطر على حياة الطفل وصحته، والأجدد هنا أن نوفق بين ما تدعو إليه التربية الطبيعية وبين الالتزام الذي يتصف به بعض الآباء الذين يتدخلون في كل صغيرة وكبيرة في شؤون أبنائهم، وأيضاً، هناك بعض علماء التربية أكدوا أن الجزء بنوعيه الثواب والعقاب يؤدي دوراً هاماً في تربية الطفل، ولكن الآباء يلجأون للعقاب أكثر من الثواب مع أن الثواب يعد حافزاً إيجابياً في كثير من المواقف، بينما العقاب يعد حافزاً سلبياً، وفي كل الأحوال يجب أن يتناسب الثواب والعقاب مع الفعل الطيب الذي قام به الطفل أو ما ارتكبه من ذنب لذلك عند إيقاع العقوبة يجب أن يتجنب الأيون الانفعال وفي الوقت نفسه عدم المساس بكرامة الطفل، وبكل ما يؤدي إلى إذلاله، كما أنه يجب عدم توبيخ الابن عدة مرات على ذنب ارتكبه لأن الأيون بهذه الطريقة يجعلان الطفل يعتاد التوبيخ، والعادة تضعف الوجدان بمعنى أن الطفل سيقبل ألمه من التوبيخ باعتياده عليه.

والتربية يجب أن يشترك فيها كل من الأب والأم وأحياناً ما يتدخل بعض أفراد الأسرة المحيطين بالطفل من الأعمام والأخوال، وأحياناً الجدود إذا اشتكى الوالدان من وجود بعض المصاعب والانحرافات في سلوك أبنائهم.

وقد استمعت إلى تجربة واقعية لجلسة عائلية جميلة أعدتها إحدى الجدات بعد أن استمعت من أبنائها كثرة المعاناة من مشاكل تربية الأحفاد خصوصاً في هذا العصر الذي انتشرت فيه وسائل التواصل الاجتماعي من الفيس بوك والتويتر والوسائل الحديثة الأخرى وتهتمش فيها دور الأسرة والمدرسة والمسجد وأصبح الأولاد يستمدون معلوماتهم من النت وأصبح الحظوظ مباحاً بشكل كامل وانهارت المنظومة الأخلاقية في المجتمع وأصبح

التربية نوع من أنواع الفنون التي تحتاج إلى الخبرة والمهارة والتدريب والتشجيع والمحبة ولا يستطيع أن يصل إلى القدرة على تربية النشء إلا من كان لديه الصبر والمحبة والتوكل على الله .
والتربية هي فن إعداد الطفل للحياة، فن لأنها ممارسة عملية ولكن الفنون جميعاً تقوم على أسس علمية لذلك فإن التربية هي فن وعلم مادام الهدف هو إعداد الطفل للحياة.